الفصل السادس العلوم الدينية

ثانياً:- علوم الحديث

1- أهمية الحديث :

يقصد بالحديث أوالسنة كل ما قاله الرسول(ص) أو فعله او رآه فأقره ولم ينكره والحديث يلي القران في أهميته الكبرى ، وذلك أنه يفصل ما أجمله القران ؛ويفسر ما يصعب على الناس فهمه منه،وكثير من آيات القران مجملة ، او مطلقة ،عامة ،والحديث يفصلها أو يقيدها او يخصصها، فالقران مثلا ، أمر بالصلاة على وجه الاجمال ، أما الحديث فقد بين عددها وحدد أوقاتها ووصف كيفية أدائها .

وكان الرسول يحل مشاكل المسلمين ، ويجيب عن أسئلتهم ، ويفتي لهم في قضاياهم المختلفة ،وعلى هذا فقد أصبح الحديث أساساً مهما من أسس التشريع في العبادات والمسائل الدينية والجزائية، وكان للحديث أعظم الاثر في نشر الثقافة في العالم الاسلامي ،فقد أقبل الناس على دراسته ورحلوا في سبيل جمعه وتعلمه ،فنتج من ذلك تبادل الاراء العلمية ، واطلاع علماء بلد على ما في البلد الاخر من علوم ومعرفة ،وبهذا كان الحديث من العوامل المهمة في توحيد الثقافة في العالم العربية والاسلامي .

2- نقد الحديث وتدوينه :

لم يدون الحديث تدويناً شاملاً منظما في عهد الرسول (ص)وفي صدر الاسلام وإنما كان الناس يتناقلون الاحاديث المتفرقة عن طريق الرواية الشفهية وقد نشأ عن عدم تدوين الحديث في حياة الرسول (ص) ،لقد تعرض حديث الرسول (ص) للوضع وذلك لاعتماد الصحابة والتابعين على الذاكرة وحفظه ، وصعوبة حصر ما قاله الرسول او فعله في مدة ثلاث وعشرين سنة من بدء الوحي الى وفاته (ص) ،ان بعض الناس أخذوا يضعون الاحاديث وينسبوبها للنبي .وهذا مايسمى بالحديث الموضوع ، ومن أسباب وضع الحديث :-

1- الخصومات السياسية .
2- الخلافات الفقهية والعنصرية .
3- تأييد سياسات الخلفاء والتقرب اليهم من جهة وترويج الفضائل والترغيب وتبرير الاوضاع الجديدة من جهة أخرى .
4- مما زاد في ذلك تساهل قبول العلماء للاحاديث الموضوعة في الترغيب والترهيب مما لا يترتب عليه حرام او تحريم حلال .

ولم يغفل العلماء عن تمييزالحديث الصحيح من الموضوع ، بل أعطوا عظيم اهتمامهم وكرسوا جهودهم لتنقيته مما أدخل عليه من الاحاديث الضعيفة اوالموضوعة ،وقد أشترطوا إسناد الحديث،أي تعيين رواة الحديث لمعرفة قيمة المحدث من ناحية صدقه او كذبه ،أي بيان سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث عن النبي (ص) وهذا ما يعرف بالسند أما نص الحديث فيسمى المتن .

ومن نقد رواة الحديث وتقصى أحوالهم تعرف قيمتهم من حيث الصدق ويعرف أيضا ما إذا كانوا منحازين الى حزب سياسي او فلسفي ليؤخذ ذلك بنظر الاعتبار.ويسمى نقد الرواة بعلم الجرح والتعديل ،

والجرح:- هو إكتشاف معايب الراوي .

أما التعديل :- فهو التوصل الى أن الراوي عادل او عدل فيما يروي، وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد .

صنف العلماء الحديث بحسب قوة السند وصحته الى أصناف منها المتواتر والاحاد

*المتواتر:- ما رواه جماعة موثوقون لا يتواطئون على الكذب عن جماعة مثلهم الى الرسول (ص) وهذا النوع من الحديث يفيد العلم .

*أما الحديث غير المتواترة :- فتسمى أحاداً وهي لا يفيد العلم عند الفقهاء ،وانما يجوز العمل بها عند ترجح صدقها . وقد قسموا الحديث كذلك الى درجات بحسب تسلسل الرواة في السند ، ومن ذلك:

س/ كان هناك تصنيف اخر للحديث اعتمده العلماء في كتبهم يكون تصنيف الحديث فيه حسب تسلسل الرواة في السند عددها ؟

1-الحديث المسند:- وهو ما اتصل إسناده من روايته الى منتهاه ويسمى هذا النوع من الحديث أيضا المتصل او الموصول .

2-والحديث المرسل :- وهو الذي سقط من سنده الصحابي فرواه التابعي عن الرسول مباشرة

3-الحديث المنقطع:- وهو الذي سقط من سنده راوي او اكثر .

4-والحديث المعضل :- وهو الذي سقط من سنده أثنان او أكثر من الرواة .

وقد بدأ العلماء يدونون الحديث في مطلع القرن الثاني الهجري ، ومن أوائل الكتب التي الفت فيه (الموطأ) للامام مالك بن أنس المولود في المدينة سنة 95هـ، والمتوفي فيها سنة 179هـ، والموطأ مزيج من الحديث والفقه ، فقد جمع أحاديث الرسول (ص) والاثار المروية عن الصحابة والتابعين ومعاملات الناس في المدينة وهو يقيم الاحاديث بحسب المواضيع ويجمع الاحاديث التي تخص كل موضوع في باب مستقل .

وبعد عصر الامام مالك نشط التأليف المنظم في الحديث حين جمعت الاحاديث في كتب خاصة وأفردت عن الشروح الفقهية ، وأشهر هذه الكتب صحيح البخاري المتوفي سنة 256هـ، وصيحح مسلم المتوفي سنة 261هـ، وسنن ابن ماجه المتوفي سنة 273هـ، وسنة أبي داود السجستاني المتوفي بالبصرة سنة 273هـ، وجامع الترمذي المتوفي سنة 279هـ ، وسنن النسائي المتوفي سنة 303 هـ، وتسمى هذه الكتب بالصحاح الستة وأعظمها شهرة وتوثيقاً (صحيحا البخاري ومسلم)،فقد ميزها العلماء وسموها بالصحيحة ، وسمو صاحبيها بالشيخين وسموا الكتب الاربعة الاخرى بالسنن والاحاديث في الصحاح الستة مقسمة على أبواب الفقه حيث جمعت الاحاديث المتعلقة في موضوع معين في باب معين :

ومن الكتب المعتمدة في الحديث مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفي سنة 241هـ، وهويشتمل على أربعين الف حديث تكرر منها عشرة الاف ،وأحاديث المسند مرتبة بحسب الرواة من الصحابة ، أي ان كل الاحاديث التي رواها صحابي معين تجمع تحت اسمه في فصل خاص مهما اختلفت موضوعهاتها من صلاة او زكاة او ميراث او غيرها .

والخلاصة أن أساس ترتيب الاحاديث في المؤطأ او الصحاح الستة هو وحدة الموضوع ، أما اساس التقسيم في المسند فهو الصحابي الراوي ، ومن كتب الحديث المشهورة الكافي للكليني المتوفي سنة 329 هـ ، وفقيه من لا يحضره الفقيه لابن بابويه المعروف بالصدوق المتوفي سنة 381هـ، وتهذيب الاحكام والاستبصار للشيخ الطوسي المتوفي سنة 460 هـ.

لقد اكتمل جمع الحديث وتدوينه والتصنيف فيه في القرن الرابع الهجري ، واعتمد المسلمون جملة من هذه الكتب واحلوها المنزلة العالية ، وانصرف العلماء الى هذه الكتب المعتمدة ، وأخذوا يشرحونها ، أو يهذبونها او يختصرونها او يعيدون ترتيب الاحاديث فيها وفق أنماط جديدة وقد الفت في ذلك المئات من الكتب في مختلف العصور .

3-أهم أئمة الحديث :-

بعدما تناولنا تدوين الحديث على أيد الائمة ، نود ان نفرد جانباً خاصاً لأهم هؤلاء الائمة فلم يلق علم من العلوم من العناية والاهتمام ما لقيه علم الحديث ، فقد عكف الناس منذ صدر الاسلام على حديث رسول الله(ص) يحفظونه وينقلونه ، ويبحثون عن سنده ورواته .

ففي عصر الصحابة اشتهر عدد من الصحابة برواية الحديث ومن أهمهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر ،وأنس بن مالك ، والسيدة عائشة ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وابو سعيد الخدري ، وكان هؤلاء من الرواة المكثرين .

وفي عصر التابعين اشتهر عدد من العلماء برواية الحديث ، منهم سعيد بن المسيب،والزهري ومحمد بن سيرين وأول من صنف في الحديث الصحيح الامام البخاري ، ثم جاء بعده الامام مسلم ، وقد حاول كل منهما ان يدون الحديث الصحيح وفق شروط معينة ، وقد استوعبا في صحيحهما عددا كبيراً من الاحاديث النبوية الصحيحة ، حتى قال ابن تيمية :" ليس تحت أديم السماء كتاب اصح من البخاري ومسلم بعد القران ".

الامام البخاري:-

هو أبو عبدالله محمد بن أسماعيل بن أبراهيم البخاري المولود سنة 194هـ من بخارى والمتوفي سنة 256هـ قرب سمرقند ،كان البخاري من أئمة الحديث وأعلامه ،تلقى الحديث عن كبار علماء عصره حتى استطاع ان يحفظ عددا كبيرا من الاحاديث على أختلاف أنواعها الصحيح منها وغير الصحيح، وقد اشتهر بسرعة الحفظ ودقة النقل وسرعة البديهة ، بالاضافة الى ما اتصف به من صبر وجد في طلب العلم ، وحب وشغف بحديث رسول الله . وبفضل هذه الصفات أصبح البخاري الامام الاول في الحديث والرواية ، واصبح "صحيح البخاري"الكتاب الاول الذي يعتمد عليه في الحديث الصحيح . وقد ترك البخاري عددا من المؤلفات العلمية ، ألا أن أشهر هذه الكتب كتاب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب في الحديث الصحيح ،إذ اشتمل على 9082 حديثاً اختارها من الروايات الكثيرة التي توافرت لديه .

وكان البخاري متشدداً في قبول الاحاديث ، إذ كان يشترط في رواة أحاديثة أن يكونوا قد بلغوا أعلي درجة من درجات العدالة والضبط والاتقان لكي تكون الرواية المنقولة عنهم صحيحة ، ولهذا تلقى الناس صحيح ، البخاري بالاكبار والتقدير ووثقوا به كل الثقة نظراً للجهد الكبير الذي بذله البخاري في جمع صحيحه ، واذا كان البخاري قد جمع هذا العدد من الاحاديث الصحيحة فإن هذا لايعني أنه قد استوعب كل الحديث الصحيح ،ولكن من المؤكد ان ماورد في صحيح البخاري هو أصح ما ورد في الحديث .

الامام مسلم:

هو ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المولود سنة 204هـ، والمتوفي سنة 261هـ في نيسابور . تلقى الامام مسلم الحديث عن عدد كبير من علماء عصره ، ورحل الى عدد من الامصار الاسلامية باحثاً عن الحديث ، حتى استطاع ان يبلغ درجة كبيرة من العلم ، اعترف له بها العلماء الذين عاصروه والذين جاؤوا من بعده . وقد وضع كتابه الشهير (صحيح مسلم) الذي يعتبر من الكتب الهامة التي يرجع أليها ويعتمد عليها في معرفة الاحاديث الصحيحة ، ولم يذكر من كتابه إلا ما ثبتت عنده صحته من الاحاديث وقال في كتابه :" ماوضعت

شيئاً في كتابي هذا الابحجة ، وما اسقطت منه شيئاً الابحجة "،ويبلغ عدد الاحاديث التي اشتمل عليها صحيح مسلم 3030 حديثاً.

5-علوم الحديث :

تكاملت جهود العلماء في الحديث في جمع الحديث وتدوينه في القرن الرابع بما لا يزيد عليه ،واستمرت عنايتهم بعلوم الحديث وظلت قائمة على مدى العصور المختلفة ومن هذه العلوم .

(أ)علم غريب الحديث :

وهو علم يبحث في الاحاديث ذات المعاني الغامضة ، او ماكان المراد منها بعيداً غير واضح للقارئ العادي ، فيشرح هذه المعاني الغامضة ويفسرها، ويوضحها ويقرب المراد منها ، ويكشف عما ينطوي فيها من المعاني والاحكام ومن اشهر الكتب في هذا العلم "غريب الحديث " لابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة 276هـ.

(ب)-علم تأويل الحديث :

وهو علم يبحث عن التوفيق بين الاحاديث المتناقضة في الظاهر بطريقة التأويل ، فيزيل التناقض ،ويكشف المعنى ويبين عن المراد المقصود من الحديث ومن الكتب المشهورة في هذا العلم "تأويل مختلف الحديث "لابن قتيبة الدينوري .

(ج)علم علل الحديث :- وعلل الحديث هي الاسباب الخفية التي تقدح في الحديث وتضعفة من وصل منقطع ، او رفع موقوف ، او إدخال حديث في حديث .

(د) علم ناسخ الحديث ومنسوخة :

يسمى الحديث محكماً إذا سلم من المعارضة وإذا عورض الحديث بحديث آخر وظهر بينهما تناقض ، وأمكن التوفيق بين المتعارضين بما يرفع التناقض بلا تعسف ولا إسراف في التاويل ، فيسمى الحديث مختلفاً ،واذا لم يمكن التوفيق بين الحديثين وثبت تأخر أحدهما بالزمن فالمتاخر بالزمن يسمى ناسخاً، ويقال للمتقدم المنسوخ ، وقد الف في هذا العلم علماء كثيرون منهم أبو جعفر النحاس مؤلف كتاب الناسخ والمنسوخ في القران المتقدم ذكره في فصل القران .

(هـ) مصطلح الحديث : او علوم الحديث هو يجمع مختلف فنون الحديث في علم واحد وتسمى أيضاً علم مصطلح الحديث،وقد كتب فيه العلماء وألفوا العديد من الكتب ، ومن اشهرهم

الخطيب البغدادي المتوفي سنة 463هـ صاحب كتاب تاريخ بغداد :- لم يترك فنا من فنون الحديث الا وصنف فيه كتاباً مفرداً.

الحافظ تقي الدين بن الصلاح المتوفي 643هـ الف كتاب علوم الحديث :-وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مقدمة ابن الصلاح ، ثم اختصره المؤرخ المفسرابن كثير

واستدرك عليه استدراكات مفيدة في كتاب "أختصار علوم الحديث " وقد شرح هذا الكتاب احمد محمد شاكر ونشره بعنوان "الباعث الحثيث في شرح أختصار علوم الحديث " وهو من أحسن الكتب المختصرة في علوم الحديث .

(و) علم رجال الحديث :-

وقد اهتم علماء المسلمين برواة الحديث إهتماماً كبيراً ،والفوا في ذلك العديد من الكتب ، وكانت تلك المؤلفات التاريخية ، نوعاً رائعا من المؤلفات في هذا المجال ،وسجلا مفصلا للحياة الثقافية في البلاد الاسلامية عامة على مدى العصور ،وقد سلك المؤلفون طرقاً عديدة في تأليفهم فمنهم من عنى ؛ بحياة الرواة وفصلها ،ومنهم من عنى بأسماء الصحابة خاصة، ومنهم من عنى برواة الحديث عامة ، ومنهم من قصر كتابه على الضعفاء ، او الحفاظ ، او المدلسين ،او الوضاعين ومنها كتب خاصة بالجرح والتعديل ،او برجال كتاب معين ، والكتب المؤلفة في رجال الحديث كثيرة تكاد لا تحصى ومن أشهرها

كتاب التاريخ للبخاري ، وكتاب الطبقات لخليفة بن الخياط المتوفي 240هـ، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفي 230هـ ، والاستيعاب لابن عبد البر المتوفي سنة 493هـ؛ واسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الاثير المتوفي سنة 631هـ ،وكذلك كتاب ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي .

والخلاصة أن الحديث هو الاصل الثاني من اصول الدين في الاسلام ،وقد اهتم به المسلمون فرحلوا في طلبه وجمعوه والفوا في علومه المختلفة ما لايحصى من الكتب ،وأنشؤا لتدريسه العديد من المدارس والمكتبات ،وقد نتج عن العناية بالحديث عدد من النتائج منها .

1-أنتشار الثقافة في العالم العربي الاسلامي وتوحيدها وفتح أبوابها لجمهور الناس .

2-العناية باللغة العربية والمحافظة عليها .

3- والعناية بالتراث العربي الاسلامي .

المصادر :-

الباعث الحثيث في شرح علوم الحديث – تاليف ابن كثير

كتاب الكفاية في علم الرواية – الخطيب البغدادي

المراجع :-

قواعد الحديث / محي الدين الموسوي علوم الحديث ومصطلحه / صبحي الصالح